المحاضره 04:

السرديات الشعبية (الملاحم)

تمهيد:

تعد الملحمة شكلا من أشكال التعبير في الأدب الشعبي. فهي تحتوي تاريخ الأمة وبطولاتها، كما أنها تعبير عن انتصارات الأمم والشعوب بأسلوب أسطوري وعجائبي.

- أولا: مفهوم الملحمة:

لغة: الملحمة مصدر مشتق من الفعل (لحم)، حيث ورد في لسان العرب أن الملحمة "هي الواقعة العظيمة والحرب ذات القتل الشديد وموضع القتال والجمع ملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها. وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى" (*). أي أن الملحمة هي الواقعة البطولية التي يجري فيها تلاحم الجيوش.

اصطلاحا: يعرفها الباحث "غنيمي هلال" بأنها "قصة بطولة تحكى شعرا وتحتوي على أفعال عجيبة. أي على حوادث خارقة للعادة، وفيها يتجاور الوصف مع الحوار وصور الشخصيات والخطب، وإن كانت الحكاية هي العنصر الذي يسيطر على باقي العناصر الأخرى، وللملحمة في أبطالها وحوادثها أصول تاريخية، ولكنها تختلط بالأساطير والخرافات في تلك العهود التي لم تقم فيها حدود فاصلة بين الحقائق والخيالات" (*).

بمعنى أن: الملحمة قصة بطولية تختلط فيها الخرافة بالأسطورة. كما أنها تتضمن بعدا عجائبيا يلعب فيها الخيال دورا بارزا.

هناك تعريف آخر للملحمة بأنها "شعر بطولي يحكي قصصا وبطولات ويصور معارك معتمدا على الخوارق والأساطير، متصلة بقضية إنسانيه قوية مع الدفاع عن المقدسات" (*). بمعنى أن الملحمة تروي تواريخ الأمم البطولية بالاعتماد على الأساطير والخوارق، ويلعب فيها الجانب البطولي دورا بارزا لأن الملحمة بتعبير دقيق ومختصر قصة بطولية عجائبية.

والملحمة أيضا: الوقعة الشديدة في الحرب. وفي الأدب معناها قصيدة قصصية متعددة الأناشيد، تسرد حوادث بطولية، وتصف مغامرات مدهشة، أبطالها بشر متفوقون وآلهة. وتعتمد خصوصا على عنصر الإدهاش والخوارق والخيال.

ويتضح جنس الملحمة بالتمييز بين أنواع الشعر. فقد قسم الشعر تبعا لتطوره المرحلي إلى ثلاثة مراحل:

- مرحلة الشعر الغنائي الوجداني.
- مرحلة الشعر القصصي الملحمي.
- مرحلة الشعر التمثيلي المسرحي الذي أطلق عبيه الغربيون تسمية Romanes.

- ثانيا: خصائص الملحمة:

1. مجهولة المؤلف: وقد غاب اسم مؤلفها بسبب قدمها وأصولها التاريخية التي تعود إلى الزمن السحيق.
2. هي شعر مطول: حيث يفوق عدد أبياتها الألف بيت.
3. تمزج الملحمة بين الحقائق والوقائع التاريخية وبين الخيال والعجائبية في الأحداث، حيث يحمل بطلها السمات الأسطورية التي تجعله خارقا للطبيعة البشرية.
4. تمزج الملحمة في شخصياتها بين العنصر البشري والآلهة أو القوى الفوق طبيعية.
5. يسيطر العنصر الحكائي على عناصر الملحمة.

6. يتراوح أسلوب الملحمة بين الوصف والحوار المكثف بين الشخصيات، وهي لا تهمل الجانب الديني.

- ثالثا: نشأة الملحمة:

ظهر الشعر الملحمي منذ فجر الحضارة الأولى عند العديد من الشعوب. وأعطى اليونان صورة متطورة عن الملاحم، لكن الحفريات الحديثة التي اكتشفت في بلاد ما بين النهرين (العراق) تثبت أن الملاحم ظهرت عند البابليين والأكاديين، إذ يعود تاريخها إلى (2300-2100 ق.م). وبذلك تعد ملاحم البابليين أقدم أثر أدبي مكتوب في العالم. وعرف منها ملحمة جلجامش، التي تسبق بتاريخها ملحمة هوميروس بـ 1500 سنة. وظهر الشعر الملحمي أيضا عند الهنود القدماء، وفي بلاد فارس إبان القرون الوسطى. كما ظهر في الأدب اللاتيني إبان القرون الوسطى. كما تابع الشعراء في عصر النهضة الأوروبية نظم الملاحم، لكنها خبت، بينما بقيت الملاحم القديمة محتفظة برونقها عبر العصور، وما زالت حتى يومنا الحالي.

- رابعا: الطابع الشعبي في الملحمة:

لازم الطابع الشعبي الشعر الملحمي منذ بداياته. فكان هناك رواة منشدون يتنقلون من مكان إلى مكان، يروون للناس تاريخ الوقائع التي تصور بطولات أسلافهم. كما أن الملاحم ظهرت في عصور سابقة على ذيوع الكتابة، فكان انتشارها عن طريق الإنشاد والرواية الشفوية.

- خامسا: أشهر الملاحم:
  - الإلياذة والأوديسة (هوميروس).
  - ملحمة جلجامش السومرية.
  - المهابهاراتا (الهند القديمة).
  - الرامايانا (الهند القديمة).
  - الشاهنامه (بلاد فارس).

مراجع المحاضرة:

- ابن منظور: لسان العرب، مادة (لحم)، ج05.
- غنيمي هلال: الأدب المقارن، المكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1962.
- نور الهدى لوشن: وقفة مع الشعر الملحمي، المكتب الجامعي الحديث، الأردن، (د.ط)، 2006.